بسم الله الرحمن الرحيم

أدب القرآن الكريم
في
حديثه عن الجنس

دراسة موضوعية

إعداد

دكتور / عبد الفتاح محمد أحمد خضر
مدرس التفسير وعلوم القرآن الكريم
بكلية أصول الدين - جامعة الأزهر
بالمنوفية

١٤١٩ / ١٩٩٨م

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على الرحمة المهداة، والنعمة المسداة سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد

فإن الاشتغال بميدان القرآن الكريم تشريف بقدر ما هو عمل وتطبيق.

تشريف وتكريم ومثوبة لصاحبه عندما يتغيا فى عمله وجه ربه الكريم ونفع المسلمين.

تشريف وتكريم ومثوبة عندما يتحول القول إلى عمل وتطبيق فيثمر لصاحبه ويعود بالنفع على أمة القرآن.

ويحثى هذا ثمرة من ثمار القرآن اليانعة اقتطفتها لتُذْهب ما بنا من مخمصة وتزيد إلى درجة التفكه والتحلية. وذلك بعد أن أصبح أعداء الاسلام فى اجتماع دائم لا ينفض مستهدفين تجريد المسلمين من كل فضل وفضيلة. ﴿وودوا لو تكفرون﴾.

ولقد بدت البغضاء من أفواههم - وما تخفى صدورهم أكبر - قديما وحديثا وكان آخر ذلك قولهم : إن الاسلام هو العدو الأخضر وإنه هو البديل للشيوعية أمام الرأسمالية [1].

هذه العبارة ومثيلاتها تكشف عن جهود منظمة تبذل لإنشاء موازين وقيم وتصورات للمجتمع غير التى أقامها الله، ولتوجيه الناس والحياة جهة غير تلك التى قررها الله، والموجهون لهذه الجهود يحسبون أنهم ينتهون إلى

---

(١) انظر : « الاسلام والقرن الحادى والعشرون » - طبع وزارة الأوقاف - ص ٢٧ .

تحطيم قواعد المجتمع المسلم وتدمير أركانه وأوطانه حتى لا تبقى أمامهم حواجز تصد أطماعهم القديمة، بعد أن تنهار عقائدنا، وأخلاقنا وبالتالى مجتمعاتنا.

ولا يدرى أصحاب هذه الجهود أن الكارثة ستودى بقواعد المجتمع الإنسانى كله لا المجتمع الإسلامى وحده. ستودى بقواعد الفطرة التى تقوم عليها الحياة البشرية برمتها.

إن الأمراض الأخلاقية أصبحت أكثر فتكاً من الأمراض العضوية والوبائية. بل أصبحت أشد خطراً من القنبلة الذرية القنبلة الجنسية : لأن العالم اليوم يعيش ثورة جنسية طاغية تجاوزت الحدود وتخطت السدود، وهَشَّمت القيود، وحطَّمت كل الأعراف مما جعلها أبرز القضايا التى تهدد الكيان البشرى والمجتمع الإنسانى متجاوزة خطر القنبلة الذرية.

وهذا **مفكر فرنسى** يقول : وبعد أن كادت أذهاننا تكف عن الخوف من الخطر الذرى ووجود عنصر إشعاعى فى عظامنا وعظام أطفالنا أصبحنا نشعر بالقلق والخطر من موجات العُرى، وغارات الجنس التى لا تنقطع إذا لم يحدُّها الخوف من الجحيم، والأمراض السارية والحمل سفاحاً .. وإن أطنانا من القنابل الجنسية تنفجر كل يوم ويترتب عليها آثار تدعو إلى القلق قد لا تجعل أطفالنا وحوشا أخلاقية فحسب بل قد تشوه مجتمعات بأسرها.

وإن خطر الطاقة الجنسية قد يكون فى نهاية الأمر أكبر من خطر الطاقة الذرية. (١)

لذا يستحيل اليوم السير فى أى مدينة كبيرة دون التعرض للقصف

---

(١) انظر : الحب والجنس من منظور إسلامى ص ١٢٥ وما بعدها بتصريف.

الجنسى الحقيقى إعلانات، مجلات، أفلام، نوادى فيديو، صور لعلب الليل، آلاف من النساء والفتيات يرتدين ثيابا عارية وشفافة. مما نتج عن ذلك كل الآفات :

لواط . وسحاق . وزنى . وممارسات جماعية للجنس . والزواج التجريبى والعرفى . والشذوذ . وعبادة الشيطان.

ومن هنا نستطيع الجزم بأنه الإعصار الجنسى المدمر الذى له أسبابه وخلفياته التى حملت به سفاحاً ثم وضعته خطراً يتهدد البشرية عامة والمسلمين خاصة وما الإيدز والزهرى والهربس والسيلان من حياتنا ببعيد.

إن تجريد المسلمين من الفضيلة والحياء هدف الأهداف ومن أجله تُجَنَّد كل التقنيات الحديثة من أقمار صناعية إلى شبكات الانترنيت التى عرضت لسور افتروها على القرآن الكريم وعدُّوها منه، وعرضت لليلة زفاف على الهواء مباشرة، وأخيراً وليس آخراً " على موقع ألمانى على الانترنيت " يكتشف دكتور مصرى أن موضوع الاسلام فى هذا الموقع عبارة عن : السحاق . واللواط. والعلاقات الجنسية الفاحشة. وعرض للأعضاء التناسلية للنساء والرجال.(١)

وبالفعل بدأ المسلمون يعيشون أمراض هذه الحضارة، من سرقة للشباب واستغلال لفورته، والتسلق على أكتافه، واقامة التجمعات الإباحية التى ترضى الشهوة والهوى والشيطان وذلك تحت مسميات متعددة. فتغير المثل الأعلى والقدوة لتصبح فى أيدى نجوم السينما ولاعبى الكرة والمغنين وشذاذ الآفاق.

---

(١) انظر : اللواء الاسلامى عدد ٨٧٨ - ١٩ نوفمبر ١٩٩٨م تحت عنوان : موقع الأزهر على الانترنيت .

فى حين أن الشباب هو عدة هذه الأمة وعتادها، وحاضرها ومستقبلها والذابين عن حياض ديننا العظيم، وهو ثروتها الحقيقية التى تفوق كل أصناف الثروة والموارد.

ومن هنا كانت أهمية وخطورة هذا الموضوع الذى أتناوله إنه - بإذن الله - يصيب محزَّ أخطر المشكلات تعقيداً فى عصرنا الحديث الجنس بكل ما تحمله هذه الكلمة من مضامين ومعان.

فهل تحدث القرآن عن الجنس ؟ وهل لنا أن نطرحه كقضية للتعلم والنقاش ؟ وهل من حل لمشكلات الجنس داخل البيوت وخارجها شريطة التقيد بأدب الله عز وجل ؟ وهل هذا ينافى الحياء ؟ هذا ما سأمسه على عجل كتقديم لما يجب تفصيله فى هذا البحث.

فأقول :

نعم تحدث القرآن الكريم عن الجنس فى مواطن متعددة منه فذكر الغريزة الفطرية التى يجب أن تؤدى وظيفتها المناطة بها ووضع لها الضوابط والمعايير، وحدد لها الأهداف كل ذلك فى إطار اللفظة المترفعة التى يستعلى فيها الإيمان رائعا شفافا بما يصلح للقدوة، وَذَكَرَ اللفظة التى تصورٌ سوء انحراف المنحرفين بما يصلح للتنفير من سوء فعالهم وقبح أخلاقهم.

تحدث القرآن عن الغريزة الجبِلِّيَّة فى تضاعيف خطابه للإنسان بكليته عقله وعواطفه وفطرته ومصلحته ومقاصده وتاريخه ومصيره بما يوقظ وعيه بشكل عام والأمثلة متعددة فى تضاعيف هذا البحث.

النقطة الثانية: هل لنا أن نطرح قضية الجنس للتعلم والنقاش؟

الجواب: نعم نحن مع تدريس وتعليم وتثقيف الشباب وتوعيته جنسياً وتحصينه ضد الوافد الغريب ولكن في نطاق أدب القرآن والسنة.

فلسنا مع العلمانين واللادينيين الذين يريدون إفراده مادة للدراسة من الحضانة إلى نهاية السُّلم الجامعي عنوانها « الجنس » فهذا لم يحدث في أي دولة في العالم. (١)

وأثناء مراجعة هذه المقدمة وجدت في مجلة منار الإسلام عدد ٩ سنة ٢٤- رمضان ١٤١٩/يناير ١٩٩٩عنوانا يقول: **مواجهة في زنجبار لمنع تدريس "مادة الجنس" التي تحاول المنظمات الدولية فرضها على المدارس الثانوية كمحاولة ثانية إثر محاولة أولى فاشلة سنة ١٩٩٢. قامت بها الأمم المتحدة في تنزانيا نظير ثلاثة ملايين دولار أمريكي كمساعدة لتعليم الجنس.**

ومن هنا فنحن نؤيد ونساند تدريس الجنس في طور الشباب ولكن ضمن العلوم المختلفة كعلم الأحياء، الدروس العامة لعمليات التناسل والتكاثر، وحصص العلوم المتعلقة بهذه المسألة، من خلال مادة التفسير أو الدين وأثناء شرح الآيات القرآنية. أثناء التعرض للأحكام الفقهية في مادة الفقه.

فمن أدب القرآن أنه كنى ولم يصرح قط في هذه المسألة ونحن أُمرنا أن نتخلق بأخلاق الله. **وحيث إن الدراسة الجنسية المنفردة والمكشوفة تؤدي قطعا إلى الفوضى والخلل في كل مناحي الحياة فإن الإسلام يرفضها ونحن من ورائه إذا كانت بهذه الحيثية.**

بقيت نقطة هامة هي هل تدخل القرآن لحل المشاكل الجنسية؟ وهل في ذلك منافاة لحياء الواجب في المسلم؟

---

١) انظر: مشكلات الشباب - د/ عباس محجوب - ص ١٩.

أقول: لقد دخل القرآن بكل هداياته فى شتى مناحى الحياة، ونظم كل الغرائز ومنها غريزة الجنس، وما ورائها من مشكلات على كافة الأصعدة.

وتَدَخُّل القرآن أو السنة فى هذه المسألة لا يخدش الحياء بل إن النبى ﷺ قد سمع وأجاب على ما يُعُدُّه البعض مخجلا لا يجوز لمسلم أن يطرقه أجاب المستفتى دون أن ينكر عليه بل كان مضرب المثل عند النبى ﷺ وعند أم المؤمنين السيدة عائشة وسأضرب على ذلك بعض الأمثلة.

الذى يسأل عن حكم: الاحتلام، الحيض، مس الذكر، الجماع، الاستمناء، اللواط، الاختصاء، الشذوذ ..... وهلم جرا.

ففى أزكى العصور وخير القرون تسأل أسماء بنت يزيد النبى ﷺ عن غسل الحيض فيقول لها: تأخذ إحداكن ماءها وسدرتها فَتَطَهَّر فتحسن الطُّهُور ثم تصب على رأسها فتدلكه دلكا شديداً حتى تبلغ شئون رأسها ثم تصب عليها الماء، ثم تأخذ فِرْصةً مُمَسَّكَةً فَتَطَهَّر بها.

فقالت أسماء وكيف تَطَهَّر بها؟ فقال سبحان الله تطهرين بها. فقالت عائشة - كأنها تخفى ذلك -: تتبعين أثر الدم.

وَسَأَلَتْه عن غسل الجنابة فقال: تأخذُ ماء فتطهر فتحسن الطهور أو تبلغ الطُّهور ثم تصب على رأسها فتدلكه حتى تبلغ شئون رأسها ثم تفيض عليها الماء. فقالت عائشة: « نعم النساءُ نساءُ الأنصار لم يكن يمنعهن الحياءُ أن يتفقهن فى الدين »(١)

وهذه أنصارية ممدوحة أيضا وهى السيدة أم سليم أم الصحابى الجليل

---

(١) أخرجه البخارى مُعَلَّقا ووصله مسلم. البخارى كتاب: العلم باب: الحياء فى العلم: انظر فتح البارى ١/١٨٤.
ومسلم كتاب: الحيض باب: استعمال المغتسلة من الحيض فرصة من مسك ٤/١٥.

أنس بن مالك وكانت مجاورة لأم سلمة زوج النبى ﷺ فكانت تدخل عليها، فدخل النبى ﷺ فقالت أم سليم : يارسول الله أرأيت إذا رأت المرأة أن زوجها يجامعها فى المنام أتغتسل ؟ فقالت أم سلمة : تَرِبَت يداك يا أم سُليم فضحت النساء عند رسول الله ﷺ. فقالت أم سليم : إن الله لا يستحى من الحق، وإنّا إنْ نسأل النبى ﷺ – عما أشكل علينا خير لنا من أن نكون منه على عمياء، فقال النبى ﷺ لأم سلمة : بل أنت تربت يداك. نعم ياأم سليم عليها الغسل إذا وَجَدَت الماء فقالت أم سلمة : يارسول الله وهل للمرأة ماء ؟ فقال ﷺ – فَأنّى يشبهها ولدها ! من شقائق الرجال »[1]

قال النووى : أما قوله ﷺ – بل أنت فتربت يمينك فمعناه أنت أحق أن يقال لك هذه فإنها فعلت ما يجب عليها من السؤال عن دينها فلم تستحق الإنكار واستحققت أنت الإنكار لإنكارك ما لا إنكار فيه[2]

وعلى هذا فإننا نعيب من خالف هدى النبى ﷺ فى إيضاح مسائل الدين دون استحياء من حق لأنه « لا يتعلم العلم مستحى ولا مستكبر »[3] قال ابن حجر : فالاستحياء الذى يقع لترك أمر شرعى مذموم وليس هو بحياء شرعى وإنما هو ضعف ومهانة »[4]

---

(١) هذه رواية المسند كما ذكرها العلامة أحمد شاكر ٦/٣٧٧ انظر الترمزى ١/١٩٢.
والحديث له روايات فى البخارى كتاب العلم باب : الحياء فى العلم ١/١٨٥ فتح.
كتاب الغسل باب : إذا احتلمت المرأة ١/٣٠٨.
كتاب الأنبياء باب : خلق آدم وذريته ٦/٢٨٢.
كتاب الأدب باب : ما لا يستحى من الحق للتفقه فى الدين ١/٤٣٠.
ومسلم كتاب الحيض باب : وجوب الغسل على المرأة بخروج المنى منها ٣/٢١٩.
وأبو داود كتاب الطهارة باب : فى المرأة ترى ما يرى الرجل ١/٣٧.
الترمزى كتاب الطهارة باب : ما جاء فيمن يستيقظ فيرى بللا ١/١٨٩.
النسائى كتاب الطهارة باب : غسل المرأة ١/١١٢.
ابن ماجه كتاب الطهارة باب : فى المرأة ترى فى منامها ما يرى الرجل ١/١٩٧.
٢) النووى على مسلم ٣/٢٢١ . (٣) البخارى كتاب العلم باب : الحياء فى العلم ١/ ١٨٤.
(٤) فتح البارى ١/ ١٨٤.

ولعلنا ندرك أن الصحابة والتابعين والعلماء من بعدهم لم يتحرجوا من طرح ومناقشة كل ما يتعلق بالمسلم ومنه ذلك الأمر « الجنس ».

أقول هذا لأن النفس إن لم نشغلها بالطاعة شُغلت بالمعصية.

والشباب إن لم تعالج مشكلاته، والبيوت. وما فيها بصفة عامة فسيكون البديل الذى خَبَّأه القدر والذي لا يعلم مدى إفساده إلا الله.

إن أهمية هذا البحث عظيمة لأسباب منها :

١- أنه فيما أعلم أول بحث أكاديمى متخصص يبحث هذه القضية تفسيريا.

٢- أنه استقصى مادة هذا الموضوع فى القرآن الكريم كله.

٣- أبرز أسلوب القرآن الذى يخص هذا الموضوع والذى بَيّن أنه لم يخدش حياءً، ولم يذهب بخلق بل يستطيع المتعبد أن يقرأ بما يخص موضوعنا فى المحراب وليس بعد ذلك سمو.

٤- أظهر حلولا لكل مشكلة جنسية وعلى كافة الأصعدة وفى كل مراحل العمر إجمالا.

٥- يرد - وبشدة - على المنحلين والإباحيين واللادينيين الذين يبيتون النوايا الخبيثة لتدريس مادة الجنس كمادة منفصلة لذاتها.

٧- فَتَحَ المجال أمام أصحاب الكلمة لطرق مثل هذا الموضوع على المنابر وفى دور العلم بما لا يخجلهم كما كان فى السابق.

٨- معاصرة هذا البحث ومواكبته لأخطر القضايا الفكرية على الساحة.

وكونه جرعة تحصينية للشباب المسلم وللأزواج والزوجات بصفة عامة.

ومن هنا لن نعدم فكراً مستنيرا يتميز بالقرآنية ويتضح بالسنة، ويحفل بصفوة فكر العلماء فى هذه القضايا التى احتواها البحث :

وأهمها:

« الألفاظ القرآنية التى تحدثت عن الجنس - المشكلات الزوجية - الحيض - التأبّى - النشوز - الخيانة - الخلاف الدائم - عزوف الزوج عن زوجته - الغياب الطويل عنها - إتيان المرأة فى دبرها - عدم الإنفاق - عدم الكفاية الجنسية - كثرة الأيمان - شيطنة الأولاد - سياسة المراهقين - التفريق فى المضاجع - الاستئذان - التبكير بالزواج - الإيمان عندما يعلو يصاحبه فوق الإغراء. »

هذا وسميته:

أدب القرآن الكريم فى حديثه عن الجنس: وعنيت كلمة «أدب» لكى يتعلم الناس جميعا كيف قاد القرآن الكريم هذا الموضوع وساقه سوقا عز عن النظير أو الشبيه فالأدب سمى بذلك: لأنه يأدبُ الناس إلى المحامد وينهاهم عن القبائح. وقد وصف النبى ﷺ القرآن بأنه مأدُبَة الله. أو مَأْدَبَة والأولى: شبه فيها القرآن بصنيع صنعه الله للناس لهم فيه خير ومنافع ثم دعاهم إليه. ومأدُبَة: جعله مفعلة من الأدب. ويقال تَأَدَّبَ بأدب القرآن أو أدَبِ الرسول ﷺ: احتذاه.[1]

---

1) انظر اللسان - والوسيط مادة أدب.

خطة البحث

يحتوى هذا البحث على :

تمهيد ومقدمة وثلاثة فصول.

التمهيد والمقدمة اظهرتُ فيهما سبب اختيار هذا الموضوع - وأهميته.

الفصل الأول : ألفاظ القرآن الكريم التى تحدثت عن الجنس.

الفصل الثانى : المشكلات الزوجية المتصلة بالنكاح ومعالجة القرآن إياها.

المبحث الأول : المشكلات التى تخص الزوجة.

المبحث الثانى : المشكلات التى تخص الزوج.

المبحث الثالث : المشكلات المشتركة بينهما.

الفصل الثالث : أدب الإسلام فى سياسة المراهقين ومصارحتهم.

وبعد

فهذا جهد المقل بذ لته قاصداً وجه الله والدار الآخرة، راجيا أن أكون قد وفقت فى وضع لبنة فى مكانها المأمول مصلحاً بذلك فكرا، وهاديا الى خير

والله الموفق والمستعان

أبو روض وعمر

عبد الفتاح محمد أحمد خضر

مدرس التفسير وعلوم القرآن

بكلية أصول الدين بالمنوفية

حصة شبشير فى ١٢ رمضان ١٤١٩

١٩٩٨/١٢/٣١.

﴿ الفصل الأول ﴾

ألفاظ القرآن التى تحدثت عن الجنس

- وردت فى القرآن الكريم ألفاظ دلت على الجنس كلها تدور على معانٍ كنائية مجازية وهى : النكاح - المباشرة - الإتيان - الرفث - المس - الطمث - اللباس - الحرث - التَّغَشِّى - المعاشرة - الإفضاء - القرب - اللمس - الدخول - السَّكَن.

١- **النكاح** : ورد ثلاثا وعشرين مرة [١]

وتدور مادته اللغوية على أصل واحد وهو البضاع [٢]

يقول الراغب « أصل النكاح للعقد ، ثم استعير للجماع ومحال أن يكون فى الأصل للجماع ثم استعير للعقد لأن أسماء الجماع كلها كنايات لاستقباحهم ذكره كاستقباح تعاطيه، ومحال أن يستعير من لا يقصد فحشا اسم ما يستفظعونه لما يستحسنونه. [٣]

وكل نكاح فى القرآن معناه التزويج [٤] واستثنى أبو البقاء قوله تعالى ﴿ وابتلوا اليتامى حتى إذا بلغوا النكاح ... ﴾ [٥] فإن المراد به هنا بلوغ الحلم [٦] والنكاح لغة : الضم والجمع وفى الشرع : «عقد يرد على تمليك منفعة البُضْع قصداً» وفى القيد الأخير احترازا عن البيع وغيره. [٧]

وقد فرق الإمام النووى بين إرادة العقد وإرادة الجماع فى كلمة «النكاح» بقوله :

---

(١) انظر المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم . نكح . (٥) سورة النساء : ٦.
(٢) انظر معجم مقاييس اللغة لابن فارس . نكح (٦) الكليات لأبى البقاء الكفوى ص ٨٨٦.
(٣) انظر المفردات فى غريب القرآن للراغب . نكح . (٧) التعريفات للجرجانى ص ٢١٥
(٤) انظر لسان العرب . نكح

«قال أبو على الفارسى : فرقت العرب بينهما فرقا لطيفا فإذا قالوا :

نكح فلانة بنت فلان أو أخته أرادوا عقد عليها.

وإذا قالوا نكح امرأته أو زوجته لم يريدوا إلا الوطء لأن بذكر امرأته وزوجته يستغنى عن ذكر العقد. [١]

ولعل اطلاق «كتاب النكاح» على الزواج وأحكامه فقهيا وحديثيا دون غيره من ألفاظ تشاركه المعنى لحيازته للنصيب الوفر فى تردده فى تضاعيف الكتاب العزيز والسنة المطهرة أو لأن الأحكام تدور على العقد وما يترتب عليه وهو أصيل فيه [٢] وإلا فدونك خمس عشرة لفظة تؤدى معناه ولكن على سبيل المجاز فقط.

٢- **المباشرة**: وردت هذه اللفظة مرتين فى آية واحدة.

قال تعالى ﴿ فالآن باشروهن وابتغوا ما كتب الله لكم ... ولا تباشروهن وأنتم عاكفون فى المساجد ... ﴾ [٣]

وأصل المباشرة : التصاق البشرتين ، وأطلقت على الجماع للزومهما [٤] فاستعمال لفظ المباشرة على الجماع من باب الكفاية.

٣- **الإتيان**: ورد هذا اللفظ فى قوله تعالى ﴿ ... فإذا تطهرن فأتوهن من حيث أمركم الله .. ﴾ [٥] أى : فى موضع الحرث والنسل.

---

(١) شرح النووى على مسلم ١٧١/٩ .

(٢) انظر فتح البارى ٩/ ٨٤، ٨٥ .

(٣) سورة البقرة : ١٨٧.

(٤) انظر اللسان : بشر ، القرطبى ٢١٧/٢ ، والبحر ٢٢٠/٢ والجمل ٢٤٣/١ .

(٥) سورة البقرة : ٢٢٢ .

ومن هنا تبدو فائدة التذييل الجمّة فى قوله تعالى ﴿ إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين ﴾ أى : إن الله يحب المتطهرين من الذنوب، ويحب المتطهرين بالماء من الحدث أو المتطهرين من إتيان النساء فى غير المحل الذى أحله الله أليس الله قال فى لوط وأهله ﴿ أخرجوا آل لوط من قريتكم إنهم أناس يتطهرون ﴾[1] قاله مجاهد [2]

٤- **الرفث** : ورد هذا اللفظ فى قوله تعالى ﴿ أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم ... ﴾ [3]

وفى قوله تعالى ﴿ ... فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال فى الحج .. ﴾ [4]

والرفث : الجماع وغيره مما يكون بين الرجل والمرأة. وهو فى الفرج بالجماع، وفى العين بالغمز للجماع، وفى اللسان بالمواعدة به.[5]

٥- **المس** : ورد هذا اللفظ فى قوله تعالى على لسان السيدة مريم ﴿ قالت أنى يكون لى غلام ولم يمسسنى بشر .. ﴾ [6]

وورد فى قوله تعالى أيضا فى تضاعيف الحديث عن كفارة الظهار ﴿ ... من قبل أن يتماسا ... ﴾ [7]

قال القاضى البيضاوى تعليقا على الآية الأولى « أى لم يباشرنى رجل بالحلال. فإن هذه الكنايات إنما تطلق فيه، أما الزنا فإنما يقال فيه خبث بها وفجر ونحو ذلك ويعضده عطف قوله ﴿ ولم أك بغيا ﴾ عليه.

---

(١) سورة النمل : ٥٦ .
(٢) القرطبى : ٩١/٣ .
(٣) سورة البقرة : ١٨٧ .
(٤) سورة البقرة : ١٩٧ .
(٥) حاشية الجمل ١/ ٢٤٢ واللسان : رفث
(٦) سورة مريم : ٢٠ .
(٧) سورة المجادلة : ٣ ، ٤ ولها مواضع أخرى فى القرآن .

قال الشهاب : معلقا على قول القاضى « الكنايات تطلق فى النكاح الحلال فإنه محل التأدب وفاعله يأنف من التصريح به ومرتكب الزنا لا أدب له ولا حشمة فلا يأنف من مثله، وليس مقامه مقام الكناية بل تطهير اللسان عنه أو التقريع به [١]

٦- **الطمث:** قال تعالى : ﴿ لم يطمثهن أنس قبلهن ولا جان ﴾[٢]

هذا وصف للحور العين بأنهن لم يطمثهن أى : لم يجامعهن قبل أزواجهن أحد. فالطمث : الجماع أو مجرد المس الذى هو من كنايات الجماع [٣]

٧- **اللباس:** قال تعالى ﴿ ... هن لباس لكم وأنتم لباس لهن ... ﴾ [٤]

وأصل استعمال معنى اللباس فى الثياب ثم سمى امتزاج كل واحد من الزوجين بصاحبه لباساً لتلازمهما تشبيها بالثوب.

أو لأن كل واحد منهما يستر صاحبه ويمنعه عن الفجور.

ومن هنا قيل للرجل عن المرأة هى لباسك، وفراشك، وإزارك.

وقد سمى الله تعالى الليل ﴿ لباسا ﴾ [٥] لأنه يستر كل شئ يشتمل عليه بظلامه [٦]

قال الربيع فى تفسير هذه الآية : هن فراش لكم وأنتم لحاف لهن أى : هن سكن لكم وأنتم سكن لهن [٧]

٨- **الحرث :** قال تعالى ﴿ نسائكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم .. ﴾ [٨]

الحرث : إلقاء البذر فى الأرض وتهيئتها للزرع، ويسمى المحروث حرثا كما فى الآية، وما فى الآية أتى على سبيل التشبيه.

---

(١) انظر البيضاوى وعليه الشهاب ٦/١٥٠ .
(٢) الرحمن : ٥٦ . ٥٤ .
(٣) انظر القرطبى : ١٧ / ١٨١ .
(٤) البقرة : ١٨٧ .
(٥) فى قوله تعالى « وجعلنا الليل لباساً » النبأ ١٠
(٦) أحكام القرآن للجصاص ١ / ٢٢٧ .
(٧) انظر الألوسى ٢/ ٦٥ ومفردات الراغب ٤٤٧ والجمل ١/٢٤٢.
(٨) البقرة ٢٢٣ .

فبالنساء زرع ما فيه بقاء نوع الإنسان كما أن بالأرض زرع ما به بقاء أشخاصهم [1]

وقد بين المفسرون فى هذه الآية لطائف متعددة منها :-

قول الزمخشرى : فأتوهن كما تأتون أراضيكم التى تريدون أن تحرثوها من أى جهة شئتم بعد أن يكون المأتى واحدا وهو موضع الحرث.

ثم يضيف قائلا « وهو من الكنايات اللطيفة المستحسنة فهذه وأشباهها فى كلام الله تعالى آداب حسنة على المؤمنين أن يتعلموها، ويتأدبوا بها ويتكلفوا مثلها فى محاوراتهم ومكاتباتهم » [2]

قال ثعلب:

إنما الأرحام أرضون لنا محترثات .·. فعلينا الزرع فيها وعلى الله النبات

٩- التغشى: قال تعالى ﴿هو الذى خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها فلما تغشاها حملت حملا خفيفا فمرت به ... ﴾[3]

والغشيان : إتيان الرجل المرأة، وقد غَشَاها، وتَغَشَّاها إذا علاها والتَّغَشِّى : كناية عن الجماع [4] وأصل التغشية : التغطية وهى واردة هنا.

١٠- المعاشرة: قال تعالى : ﴿ .. وعاشروهن بالمعروف .. ﴾ [5]

العشرة : المخالطة ، وعشير المرأة زوجها كما فى الحديث الصحيح فى خطابه ﷺ للنساء « تُكْثِرْنَ اللعن وتَكْفُرْنَ العشير»[6] أى تكفرن احسان الزوج العشير لأنه يعاشرها وتعاشره.

---

(١) مفردات الراغب : ص ١١٢ . (٢) الكشاف : ١/ ٢٦٢ . (٣) الأعراف : ١٨٩ .

(٤) الكشاف : ٢/ ١٣٦ ، ومفاتيح الغيب ١٥ / ٩٣ . (٥) سورة النساء : ٢١ .

(٦) رواه البخارى كتاب الإيمان باب : كفران العشير: الفتح ١/٦٩.

ورواه مسلم كتاب الإيمان باب : بيان نقصان الإيمان باب بيان نقصان الإيمان بنقص الطاعات .

١١- الإفضاء:

قال تعالى ﴿ وقد أفضى بعضكم إلى بعض .. ﴾ (١)

قال العلماء : الإفضاء إذا كان معها فى لحاف واحد جامع أو لم يجامع وقال ابن عباس : الإفضاء فى هذه الآية : الجماع ولكن الله كريم يكْنِى (٢)

١٢- القرب: قال تعالى : ﴿ .. ولا تقربوهن حتى يطهرن .. ﴾ (٣)

قال أبو حيان : القرب كناية عن الجماع . (٤)

١٣- اللمس: قال تعالى ﴿ .. وإن كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا .. ﴾ (٥)

اللمس فى هذه الآية يحمل على معان منها الجماع، أو المباشرة أو الأمرين معاً وأبو حنيفة رضى الله عنه حمل اللمس فى الآية على الجماع خاصة (٦)

١٤- الدخول : قال تعالى ﴿ حرمت عليكم أمهاتكم .. وربائبكم اللاتى فى حجوركم من نسائكم اللاتى دخلتم بهن ... ﴾ (٧)

عن ابن عباس قال : الدخول فى الآية الجماع (٨)

وقال القاضى البيضاوى : « أى دخلتم معهن الستر وهى كناية عن الجماع » (٩)

١٥- السكن: قال تعالى ﴿ .. وخلق منها زوجها ليسكن إليها .. ﴾ (١٠)

---

(١) سورة النساء : ٢١ .
(٢) انظر القرطبى : ٥/ ٢٠٣ .
(٣) البقرة : ٢٢٢ .
(٤) البحر : ٢/ ٤٢٤ .
(٥) النساء : ٤٣ .
(٦) القرطبى : ٥ / ٢٢٣ .
(٧) النساء ٢٣ .
(٨) القرطبى : ٥ / ١١٣ .
(٩) على هامش حاشية الشهاب : ٣ / ١٢١ .
(١٠) الأعراف : ١٨٩ .

وقال تعالى : ﴿ ومن ءاياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن فى ذلك لأيات لقوم يتفكرون ﴾ [1]

قال الزمخشرى : السكن هو الإلف [2] وهو أيضا : ثبوت الشئ بعد تحرك وكأن الأيم يظل متحركا لا سكن فيه ولا سكون حتى ينعم بنعمة الاستقرار والسكن بالزواج الحلال [3]

وهو من كنايات الجماع.

هذه هى الألفاظ التى تدور حول الجنس أو ما يحدث بين الأزواج وهي ألفاظ – كما بينت سابقا – تدور حول معان كريمة لطيفة ما صُرح فيها قط ولكن الله كريم يَكْنِي وما على المسلم إلا أن يتخلق بخلقها ويتأدب بأدبها ويحذو حذوها فى كل محاوراته ومكاتباته كما قال العلامة الزمخشرى.

ومن إجمال القول فى الألفاظ التى تدور حول الجنس فى الكتاب العزيز إلى بيان هدى القرآن الكريم فى حل المشكلات التى تخص هذا الموضوع.

وهذا ما يتضمنه الفصل الثانى من هذا البحث.

---

(١) سورة الروم : ٢١ .

(٢) الكشاف : ٣/ ٢١٨ .

(٣) المفردات : ٢٣٦ .

﴿ الفصل الثانى ﴾

المشكلات الزوجية المتصلة بالنكاح ومعالجة القرآن الكريم إياها

لا شك أن المجتمع البشرى له مشكلات متعددة الجوانب تختلف باختلاف الأشخاص بل باختلاف المزاج فى الشخص ذاته، وحيث إنه ليس فى مقدور واحد من البشر أن يتعرف على مشكلات كل المجتمعات تفصيلا إذ لا يعلم ذلك إلا الله - حيث كان ذلك - فإنى اخترت نماذج لأبرز، وأخطر ما يلاقيه المجتمع المسلم من مشكلات ومُنَغِّصات تتصل بموضوع دراستنا « الجنس». ولقد قسمت هذه المشكلات إلى ثلاثة مباحث كالآتى :

المبحث الأول : المشكلات التى تخص الزوجة.

المبحث الثانى : المشكلات التى تخص الزوج.

المبحث الثالث : المشكلات المشتركة بينهما.

المبحث الأول : المشكلات التى تخص الزوجة وهى :-

١- المحيض ٢- التأبى على الزوج ٣- النشوز ٤- الخيانة الزوجية

٥- الخلاف الدائم الذى لا توفيق معه ألبتة.

[١] المحيض

ورد ما يخص هذه المسألة فى قوله تعالى ﴿ ويسئلونك عن المحيض قل هو أذى فاعتزلوا النساء فى المحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن فإذا تطهرن فأتوهن من حيث أمركم الله إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين ﴾ (١)

---

(١) البقرة : ٢٢٢ .

والمحيض : مصدر ميمى بمعنى الحيض ، كالمعيش بمعنى العيش

قال رؤبة : إليك أشكو شدة المعيش ... ومر أعوام تنقن ريشى

وأصل الحيض : السيلان [1]

وسبب نزول هذه الآية : « عن أنس رضى الله عنه قال : « كانت اليهود إذا حاضت امرأة منهم لم يؤاكلوها ولم يشاربوها ولم يجامعوها فى البيوت فسئل النبى ﷺ عن ذلك فأنزل الله ﴿ ويسئلونك عن المحيض ... ﴾ الآية فأمرهم النبى ﷺ أن يؤاكلوهن ، ويشاربوهن ، وأن يكونوا معهن فى البيوت، وأن يفعلوا كل شئ إلا النكاح.

فقالت اليهود : ما يريد محمد أن يدع من أمرنا شيئا إلا خالفنا فيه، فجاء «عباد بن بشر» و«أسيد بن حضير » إلى رسول الله ﷺ - فأخبراه بذلك وقالا : يارسول الله أفلا ننكحهن فى المحيض؟ فتمعر وجهُ رسول الله ﷺ - حتى ظننا أنه غضب عليهما، فاستقبلهما هدية من لبن فأرسل لهما رسول الله ﷺ - فسقاها فعلما أنه لم يغضب ». [2]

فسبب النزول يوضح كيف كانت يهود تتعامل مع الحائض فى أيام حيضتها، وظهر أن تعاملهم كان الهجر التام لكل مظاهر المعيشة فجاء الإسلام عدلا وسطا فأبان الحق والعدل فى شقائق الرجال بما يتناسب مع مصلحة الزوجين دون ضرر.

---

(١) انظر الطبرى ٢ / ٣٨ ، والقرطبى ٣/ ٨١ .

(٢) أخرجه مسلم كتاب الحيض باب : جواز غسل الحائض رأس زوجها ورجليه. ٣/ ٢١١ .
أخرجه أبو داود كتاب الطهارة باب : فى مؤاكلة الحائض ومجامعتها ١/ ٤٠.
أخرجه الترمذى كتاب التفسير باب : ٣ ومن سورة البقرة حديث ٢١٧٧ .
أخرجه النسائى كتاب الطهارة باب : تأويل قول الله عز وجل « ويسئلونك عن المحيض ».
وانظر لباب النقول ص ٤٢ .

ويحلو لكثير من الناس أو لقليل منهم أن يجعلوا من أيام الحيضة أزمة ومشكلة ينفر بسببها من بيته ويحاسب الحائض حساب من كَتَبَت على نفسها ذلك ويحتال فى إتيانها فى حين أن النبى ﷺ - وضع الأمر فى نصابه ونسب الفعل لفاعله سبحانه ووضح للزوج كيف السبيل إلى زوجه فى تلك الحال وذلك عندما دخل على السيدة عائشة - رضى الله عنها - وهى فى موسم الحج ووجدها تبكى فقال لها : « أَنُفِسْتِ ؟ - يعنى الحيضة - قالت: قلت نعم . قال : إن هذا شئ كتبه الله على بنات آدم فاقضى ما يقضى الحاج غير أن لا تطوفى بالبيت حتى تغتسلى ... »[1]

فالحيض ليس بيد المرأة بل شئ كتبه الله عليها .

والآية تبين أن الحيض ﴿ أذى ﴾ أى قذر. قال الإمام الطبرى : وسمى الحيض أذى لنتن ريحه وقذره ونجاسته[2] وهو دم فاسد أسود ثخين محتدم شديد الحمرة كما يعرفه الفقهاء ، ورؤية الدم تنفر الطبع وتشمئز منها النفس فكيف إذا اجتمعت معه هذه الأوصاف الخبيثة ؟!

وبالرغم من تحذير الله تعالى للزوج باعتزال موضع الحيضة يحاول من جَسَّم أمر الحيضة على أنها مشكلة أن يأتى زوجه ولا يأبه بتحذير أوجزه الله فى كلمة واحدة راح فيها العلماء وغَدْوا شرحاً لما تحتويه من نُذُرٍ .

فقد ثبت أن إتيان المرأة فى هذه الحال فيه ضرر عظيم يلحق المرأة، كما أن فيه ضرراً على الرجل فقد أثبت الطب الحديث الضرر الفادح الذى يلحق بالمرأة من التهاب فى عنق الرحم، وفى الرحم ذاته وغير ذلك من الأمراض. وأذاه على الرجل فادح أيضا حيث إن الدم السائل من عضو التناسل عند

---

(١) رواه مسلم كتاب الحج باب : بيان وجوه الإحرام ١٤٦/٨ .

(٢) انظر الطبرى ٢/ ٣٨١ .

المرأة وهو يشتمل على بويضات دقيقة يكون منها تَخَلُّق الأجنة فإذا انغمس في الدم عضو التناسل في الرجل يتسرب إلى قضيبه شئ من ذلك الدم فاستحال إلى عفونة تحدث أمراضا معضلة [1]. ومن هنا فإن حكم جماع الحائض حرام شرعاً وطبعا.

يقول ابن القيم « وجماع الحائض حرام طبعا وشرعاً فإنه مضر جداً والأطباء قاطبة تحذر منه » [2] ولا يعلم الحلال والحرام إلا من تَعَلَّم الأحكام ومن رضى بالجهل ضل وأضل.

يقول الإمام الغزالي في آداب المعاشرة وما يجري في دوام النكاح « أن يتعلم المتزوج من علم الحيض وأحكامه ما يحترز به الاحتراز الواجب، ويعلم زوجته أحكام الصلاة .. فإنه أمر أن يقيها النار ﴿ يا أيها الذين ءامنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة ... ﴾ وإذا أهملت المرأة حكما من أحكام الحيض والاستحاضة ولم يَعْلمها الرجل معها شاركها في الإثم »[3]

ولعل الإمام الغزالي يقصد أن الزواج لون من السيادة فكيف يسود جاهل لا يدري ؟! والإسلام لم يترك المشكلة تتفاقم بل وضع لها حلولا منها أن يصنع الرجل مع زوجه كُلَّ شئ إلا النكاح. قال ﷺ - « اصنعوا كل شئ إلا النكاح [4] أو تضع المرأة ما يحول بينها وبين زوجها في هذا الموضع.

---

(١) انظر التحرير والتنوير ٢/ ٣٦٦، تفسير آيات الأحكام للصابوني ١/١٠٣. وحجة الله البالغة ٢/١٣٥.

(٢) زاد المعاد ٣/ ١٤٧ .

(٣) إحياء علوم الدين ٢/ ٤٤ .

(٤) رواه مسلم كتاب : الحيض باب جواز غسل الحائض رأس زوجها ٣/٢١١ .

فعن عائشة رضى الله عنها - قالت : كان إحدانا إذا كانت حائضا أمرها رسول الله ﷺ - فتأتزر بإزار ثم يباشرها.[1]

وفى رواية : « ... أنْ تأتزر فى فور حيضتها ثم يباشرها قالت : وأيكم يملك إرْبَهُ كما كان رسول الله ﷺ يملك إرْبَهُ »[2]

أما الجماع فمشروط بالتطهر ﴿ فإذا تطهرن فأتوهن من حيث أمركم الله. ﴾

وهنا يظهر الولاء الكامل لله عز وجل حيث لا يأتى المرء من عند نفسه بما يشبع نهمته الجنسية كيفما اتفق بل يأتى - وبعد الطهر - من حيث أمره الله كما اتقى الحيضة يتقى الدبر.

« فليست المسألة بعد ذلك فوضى ولا وفق الأهواء والانحرافات إنما هي مقيدة بأمر الله فهي وظيفة ناشئة عن أمر وتكليف، مقيدة بكيفية وحدود »[3]

إذا فالحل لمشكلة الحيض إما اللقاء مع الاحتراز من مكان الحيض كما أسلفت. وإما التزوج بثانية عملا بقوله تعالى ﴿ فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع .. ﴾[4] وذلك إذا بلغ الشبق مبلغا لا يكفى معه أحوال الزوجة الواحدة. فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون.

٢- مشكلة التأبى على الزوج

هذه مشكلة من أعظم المشكلات خطراً على حياة الزوجين الشرعية لأن أهم ما يميز الحياة الزوجية عن غيرها اللقاء بين الزوجين فكل الأمور التى

---

(١) ، (٢) رواهما مسلم كتاب : الحيض باب : مباشرة الحائض فوق الإزار ٢٠٢/٣ ، ٢٠٣.

(٣) انظر فى ظلال القرآن ١/ ٢٤٢ .

(٤) النساء : ٣ .

تحدث فى بيت الزوجية يمكن للزوج أو للزوجة القيام بها دون الحاجة إلى الغير وفى حال الاحتياج يمكن الاستعاضة ، بمعونة الغير من المحارم وغيرهم كالمأكل والمشرب والملبس والمأوي إلا هذه الناحية فلا عوض فيها عن الزوجة الحلال ألبتة ومن هنا فالحصر والقصر حاصل فى الزوجة على زوجها، والزوج على زوجه ومن ضوابط الزوجة الصالحة طاعة الزوج فى مكرهها ومنشطها، وفى غضبها ورضاها- قطعا - مالم تؤمر بمعصية ولذلك عندما سئل النبى - ﷺ - أى النساء خير : قال التى تسره إذا نظر، وتطيعه إذا أمر ، ولا تخالفه فى نفسها ومالها بما يكره »[1]

والتمتع بالمرأة من مقاصد الزواج وكذا تمتع المرأة بزوجها.

يقول ابن القيم « الجماع وضع فى الأصل لثلاثة أمور هي مقاصده الأصلية :

أحدها : حفظ النسل . الثانى : إخراج الماء الذى يضر احتباسه واحتقانه بجملة الجسد . الثالث : قضاء الوطر ونيل اللذة والتمتع بالنعمة وهذه وحدها هي الفائدة التى فى الجنة إذ لا تناسل هناك ولا احتقان يستفرغه الإنزال ، وفضلاء الأطباء يرون أن الجماع من أحد أسباب حفظ الصحة..

ومن منافعه غض البصر، وكف النفس ، والقدرة على العفة عن الحرام، وتحصيل ذلك للمرأة ، فهو ينفع نفسه فى دنياه وأخراه، وينفع المرأة، ولذلك كان ﷺ يتعاهده ويحبه ويقول : حُبِّبَ إلىَّ من دنياكم النساء والطيب وجعلت قرة عينى فى الصلاة [2] ومن هنا علق القرطبى على قوله تعالى ﴿ وتذرون ما خلق لكم ربكم من أزواجكم بل أنتم قوم عادون ﴾ [3] قائلا :

---

[1] اللفظ للنسائى كتاب : النكاح باب : أى النساء خير ٦/ ٦٨ .

[2] اللفظ للنسائى كتاب : عشرة النساء باب : حب النساء ٧/ ٦١ وانظر زاد المعاد ٣/١٤٦ .

[3] سورة الشعراء : ١٦٦ .

« أعلَمَ اللهُ – عز وجل – النساءَ أن ذلك الموضع منهن للرجال، فعليها بذله في كل وقت يدعوها الزوج فإن منعته فهي ظالمة ووقعت في حرج عظيم، ويكفيك من ذلك ما ثبت في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ والذي نفسي بيده ما من رجل يدعو إمرأة إلى فراشها فتأبى عليه إلا كان الذي في السماء ساخطا عليها حتى يرضى عنها ... »[1]

وفي لفظ « إذا باتت المرأة هاجرة فراش زوجها لعنتها الملائكة حتى تصبح [2] فالسخط واللعن من الملائكة على المتأبية عن فراش زوجها عقاب رباني والعقاب البشري أن تعيش المرأة فاقدة لرضا زوجها التي قد تؤدي به إلى أن ينظر إلى الحرام بل إلى ما بعد ذلك من الموبقات.

فالمسلمة ما يكون لها إلا أن تطيع أمر الله في زوجها ونفسها ليكون جمع الشمل في الدنيا والفوز برضا الله والجنة في الآخرة.

٣- النشوز .[3]

من أسباب الشقاء في الحياة الزوجية : النشوز . نشوز الزوجة أو نشوز الزوج فالقرآن الكريم تحدث عن مرض النشوز وأنه يصيب كلا من الفريقين على السواء وإن كان في الزوجات أكثر وأفشى.

قال تعالى ﴿ الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله واللاتي

---

(١) أخرج هذه الرواية والتي بعدها : مسلم كتاب النكاح باب : تحريم امتناعها من فراش زوجها ١٠ / ٨٠٧.

(٢) انظر القرطبي جـ١٤ / ص١٧ .

(٣) هذا المرض الاجتماعي « النشوز » يشبك تماما مع العنصر السابق « التأبي على الزوج » لأن الإباء من أسباب النشوز فإن استمر أدى غالبا إليه وفشلت الحياة الزوجية فلا تكرار لذا وجب التنويه.

تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن فى المضاجع واضربوهن فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا إن الله كان عليا كبيرا ﴾[1]

هذه فى حق المرأة. أما ما جاء فى حق الرجل فقوله تعالى :

﴿ وإن امرأة خافت من بعلها نشوزا أو إعراضا فلا جناح عليهما أن يصلحا بينهما صلحا والصلح خير ... ﴾[2]

وبداية أحب أن أبين أن « الشقاق فى الأسرة ينشأ عن علل وآفات كثيرة ومتنوعة منها ما يكون بين أهل القرى، ومنها ما يمتاز به أهل الحضر، ومنها ما يصيب كلا من الفريقين، ومنها ما يفشو فى الطبقات المستنيرة والمثقفة أكثر من سواها ومنها ما يرجع إلى الزوجة وحدها، ومنها ما يرجع إليهما معاً، ومنها ما يرجع إلى غيرهما. وعلى من يريد الإصلاح حقا أن يتتبع هذه الآفات فيسبر غورها ويجلى أمرها، وأن ينظر فى خير ما تعالج به على ضوء التجارب السليمة مهتديا بهدى القرآن العزيز، والسنة النبوية، وما اشتملا عليه من الأصول المحكمة، وما ورد بهما من الآداب ومكارم الأخلاق». [3]

- أصل النشوز : مأخوذ من النَّشْزُ وهو ما ارتفع من الأرض. وهى صورة حسية عبرت عن حالة نفسية. والحالة النفسية المعنوية هنا : العصيان أو البغض من الزوجة للزوج أو العكس [4]

---

(١) النساء ٣٤ .

(٢) النساء ١٢٨ جاء تفسير ذلك فى صحيح البخارى كتاب النكاح باب وإن امرأة خافت .. عن عائشة قالت : هى المرأة تكون عند الرجل لا يستكثر منها فيريد طلاقها ويتزوج غيرها تقول له امسكنى ولا تطلقنى ثم تزوج غيرى فأنت فى حل من النفقة علىّ والقسمة لى فذلك قوله تعالى «فلا جناح عليهما إن يصلحا بينهما صلحا والصلح خير» (فتح البارى ٩/٢٥٠)ولما كان الأغلب فى النشوز النساء جعلته فيما يخص الزوجة من مشكلات - .

(٣) انظر الأسرة فى التشريع الاسلامى للعلامة محمد أحمد السنهورى ص ١٤٥ ، ١٤٦ .

(٤) انظر المفردات ص ٤٩٣ .

والاسلام لم ينتظر حتى يقع النشوز بالفعل، وتُعلن راية العصيان وتسقط مهابة القوامة أو مكانة المرأة عند زوجها بل بدأ العلاج الفورى بمجرد استشعار بدايات النشوز التى عبر عنها المولى تبارك وتعالى بقوله ﴿واللاتى تخافون نشوزهن﴾ مجرد الخوف، ﴿وإن امرأة خافت من بعلها نشوزا﴾ مجرد ظهور أمارات يُستقرأ منها معانى العصيان والاستعلاء وعدم الانسجام الأسرى الزوجى.

أما لو تركنا الأمر حتى استقر وضرب بجذوره فالعلاج وقتئذ لا يجدى لاتساع الخرق على الراقع. وكأن المولى تبارك وتعالى يلفت أنظار عباده الى متابعة تقويمية دقيقة حساسة لكل تصرفات الزوج أو الزوجة وقديما قالوا: «داوى جرحك لا يتسع» وهنا أحب أن ينتبه الزوج المعالج لأسباب الشقاق إلى نقطة أقدّمُها قبل البدء فى مراحل التقويم وهى فى غاية الأهمية ألا وهى: أن من استمرأ الخنوع والذل وخلع صفات القوامة التي حباه الله إياها وأعطاها لزوجه من أول يوم ثم أفاق فقال سبحانك أين قوامتى وقيادتى وعزى السليب بعد ردح من الزمن. من كانت هذه حاله فليمدد لنفسه فى حاله الحاصلة مداً؛ لأنه لن يستطيع أن يُغيِّر شيئاً بالتصويب أو بغيره إلا أن يشاء الله والتجارب أثبتت ذلك وليس مع العين أين.

لذا كان من سنة نساء العرب تعليم بناتهن اختيار الأزواج.

« وكانت المرأة تقول لابنتها : اختبرى زوجك قبل الإقدام والجراءة عليه.

إنزعى زج رمحه ، فإن سكت فقطعى اللحم على ترسه، فإن سكت فكسرى العظام بسيفه، فإن سكت فاجعلى الإكاف على ظهره، وامتطيه فإنما هو حمارك »[1]

---

(١) انظر احياء علوم الدين ٤٢/٢ والقرطبى ٥ / ١٧٦ .

وأسباب النشوز عند الزوجة متعددة إما الهوى، وإما الاستعلاء بالجمال، أو المال أو الحسب أو أى قيمة تحت أى مسمى ترى تفردها بها.

والعلاج لمشكلة النشوز متعدد الجوانب،

الجانب الأول على الزوج ، الجانب الثانى على أهل الفضل والإصلاح فقد جعل الله سبحانه فى القرآن المجيد للزوج أن يتدرج مع زوجه وعظا، فإن لم يوفق انتقل إلى الهجر فإن لم يوفق استعان بالتأديب بالضرب.

وتفصيل ذلك كالآتى :

أ- الوعظ:

وهو يعنى التذكير والإرشاد والنصح فى نطاق الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر مع بيان العاقبة. هذا المعنى باد ظاهر فى المعاجم العربية.

والله تعالى قال ﴿ فعظوهن ﴾ أى ذكروهن بكتاب الله وما أوجب الله عليهن من حسن الصحبة، وجميل العشرة للزوج، والاعتراف بالدرجة التى له عليها، وبما أوصى به رسول الله ﷺ النساء، وما حذرهن منه.

والوعظ عمل تهذيبى مطلوب وهو من واجبات رب الأسرة فى كل حال ولكن فى هذه الحال بالذات يتجه اتجاها معينا لهدف معين وهو العلاج.

ومن فقه الواعظ الترفق بمن يعظه فالنفس جبلت على كراهية الأمر والنهى ولذا يقول الله لموسى وأخيه ﴿ اذهبا إلى فرعون إنه طغى فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى ﴾[1]

- كذلك الاعتصام بالله ليهب الواعظ توفيقا وتأييدا لأنه سبحانه وحده هو القادر على إصلاح الزوجة. قال تعالى فى حق زوج زكريا عليه السلام ﴿ .. وأصلحنا له زوجه .. ﴾[2] ولو أن السياق فى هذه الآية يقتضى

(١) سورة طه ٤٤ ، ٤٥ .

(٢) سورة الأنبياء ٩٠ .

إصلاحاً معينا هو أنها كانت عاقرا لا تلد فولدت «يحيى عليه السلام» إلا أن الإصلاح لا يمتنع على غير هذه الحالة فالله على كل شئ قدير وهو المستعان ومن هنا كان توجه عباد الرحمن إلى الرحمن الرحيم بقولهم : ﴿ .. ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماما ﴾[1]

وليت شعرى : كيف يعظ من لادراية له بالوعظ مادة، وفنا. بل كيف يعظ من هو فى حاجة إليه ؟! فإن وفقه الله فبها ونعمت وإن كانت الأخرى فلينتقل إلى حيث الهجر.

ب- الهجر:

وهو يكون بمثابة استعلاء نفسى من الرجل على كل ما تتشح به المرأة وتتدلل به من جمال، وجاذبية، وإغراء.

وهو كما قال ابن عباس « الهجر هو أن لا يجامعها ولا يضاجعها على فراشها ويوليها ظهره وكذا قال غير واحد. ولا يكلمها مع ذلك ولا يحدثها[2]

والآية نصت على أن يكون الهجر فى المضاجع ليس بعيداً عن البيتوتة ومكانها. فعن حكيم بن معاوية القشيرى عن أبيه قال : قلت يارسول الله : ما حق زوجة أحدنا عليه؟ قال : أن تطعمها إذا طَعِمْت، وتكسوها إذا اكتسيت ولا تضرب الوجه ولا تقبح ولا تهجر إلا فى البيت »[3]

ولعل الحكمة من كون الهجر فى المضجع وعش الزوجية ليس غيره أن يكون ذلك أدعى إلى رجوع الأمور لسابق عهدها حيث تبرز جيوش من

---

(١) سورة الفرقان ٧٤ .

(٢) انظر ابن كثير ١/ ٥٠٤ .

(٣) أخرجه أصحاب السنن واللفظ لأبى داود كتاب النكاح باب: فى حق المرأة على زوجها ص ٣٣٤.
والنسائى كتاب النكاح باب : حق المرأة على الزوج ١ / ٩٤ه .
وابن ماجة كتاب النكاح باب: حق المرأة على الزوج ١ / ٩٣ه .